بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله وهو أهل لكل حمد ، حمداً لا يُحصى ولا يُعَدّ ، وأشهد ألا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله من أطاعه فقد رشد وسعد ومن عصاه فقد ضل وما سدد وفي رضوان الله قد زهد ، صلى الله وسلم على سيدنا محمد إلى الأبد.

أربعة عشر عاماً تقريباً مرت عليَّ بمدريد لم أدر كيف مرت وهكذا الأعمار ما أسرع جريانها وانسيابها إنها كالماء في كفي حامله يتسرب ويذهب دون أن يشعر ، عاصرت في تلك السنين وشاهدت من الناس أفكاراً وأحوالاً وظروفاً ما كان لي أن أعلمها لولا سفري إلى إسبانيا ، لقد شاهدت العجب العجاب وما يخرج في الأفلام والمسلسلات مما كنت أظنه إبداع كاتب أو خيال مخرج مما لا يمكن للعقل قبوله أنه كائن حقيقة رأيت أعظم منه في واقع الحياة وربما ييسر الله لي في إخراج كتاب عن عجائب الأخبار والحكايات في مدريد .

فليس من شك أن في القصص والحكايات عبرة للمتأملين وفائدة للمتفكرين والمتبصرين ، غير أن هناك من الأمور ما هو أهم والنفع فيه أعظم إذ هو أجل الغايات وهو الأول في الأولويات ألا وهو بيان حقيقة الإسلام المفترى عليه من حاقد مزور أو جاهل متحير فشُوِّهت صورته وأخفيت حقائقه وصار الكذب عليه باب كل من أراد شهرة أو مالاً وقد أعانهم على ذلك حال كثير من المسلمين الذين أساؤا للإسلام بتفريط في تعاليمه وتضييع لمبادئه بسلوك ذميم وعمل عن الخير

عقيم لا يرى منه إلا شر ويتوقع منه الأذى والضر ، فنفَّروا الآخرين عن دينهم إذ قد حكموا عليه من خلالهم ، وآخرون بالإفراط والتشدد .

فهذا مستحل للأموال وللدماء المعصومة وأجاز لنفسه ابتداءً أو تقليداً لمن نصب نفسه مفتياً بل وحاكماً وقاضياً ممن ليس لهم من العلم الشرعي ما يؤهلهم لذلك فراحوا يعيثون في الأرض باسم الإسلام ، ليصب ذلك كله على أنه إسلام والإسلام براء منه بعيد عنه ، ولتبقى صورة الإسلام في أذهان الكثيرين صورة القتل والتدمير وخيانة العهد والغدر ، ولتَصْلى الجالية الإسلامية في العالم الغربي بنظرات الارتياب وأحقاد الكراهية وتتجرع العناء من واقع يلفظها ولا يقبلها ومن غائب ومجهول ينتظرها تتوجس خيفة من رد فعل لغَيْرٍ لم يحكم بعقل وإنما دفعه شعور وحقد ، ولا يعلم إلا الله إلى أي شيء يؤول ، فرأيت أن أكتب كتاباً يناقش الواقع في مشكلاته ويجيب السائل عن تساؤلاته ويبين بالحقائق والبراهين زيف الزائفين ، ولقد ختمت الكتاب بأجوبة لأهم الأسئلة الفقهية التي يحتاجها المسلم الذي يعيش في بلاد غير المسلمين .

ولما كان كتابي هذا موجهاً أولاً إلى المهاجرين من المسلمين خارج بلاد الإسلام فسوف أقفز بحاجز الزمان قليلاً لأتخطى الحديث عن الإسلام في منهجه والنبيﷺ في صفاته وشخصيته للحديث أولاً عن بعض من الظروف التي مرت بها الدعوة الإسلامية وما لحق رجالها من أذى وما تحملوه من آلام وما ضحوا به من أجل عقيدتهم حتى تركوا أموالهم وديارهم وفارقوا الأهل والأقارب والجيران وخرجوا فراراً بدينهم ليعبدوا الله الواحد الأحد الذي دلهم عليه نبي أحبوه أكثر من نفوسهم وأهليهم بل أكثر من الدنيا بأجمعها ، كيف هان ذلك كله عليهم! كيف تبدلت النفوس لتصبح أرخص ما يقدَّم وقد كانوا من قبل يقتتلون على حفنة قمح أو صاع من شعير! كيف أحب الواحد منهم أخاه في الإسلام وفضَّله على أخيه في النسب والقبيلة بعد أن كانوا من قبل يقاتلون من أجلها وهي ظالمة حمية لها وانتصاراً لاسمها !

فلنعرض صوراً عابرة ولمحات خاطفة تلقي بعضاً من الضوء على تلك المعاناة وذلك العذاب لتكون الباب الذي نلج من خلاله لمعرفة هذا الدين وكتابه ونبيه إذاً فلنرجع إلى زمن النبوة الأول مع الأحداث التي صارت تاريخاً للعظماء ومثالاً للمصلحين ومدرسة تربية يتخرج فيها كل من أراد أن يقتبس من هذه الحقبة نوراً يرشد وزاداً يعين على مواصلة المسير في طريق الحق وجنة يستروح في فيئها كل من كابد حرقة الاغتراب وأدماه البعد عن الأحباب أو من ارتضاها اختياراً واستقراراً رغبة في تحسين معيشة أو نيل علم أو توطن المكان بزواج أو غير ذلك من الأسباب.

إلى كل إنسان أراد أن يخلع عن عنقه طوق العادات وأغلال الأوهام لمن أراد أن يكسر أسوار الجهل التي تحول دون نور المعرفة معرفة الآخر من خلاله لا من خلال ما يكتبه الآخر عنه ، إلى كل طالب معرفة وباحث عن الحقيقة هيا لتعرف الإسلام من مصادره ، لتحكم عليه من خلال معرفتك لا من خلال ما يُلقى عليك من غير منصف أو غير متخصص.

أسأل الله أن يجعله لوجهه الكريم خالصاً لا رياء ولا سمعة ولا حظاً لغير الله فيه . وأن ينفع به وأن يعفو عن أي خطأ فيه وجزى الله خيراً من أبدى إليَّ فيه نصحاً ، فسبحان من اختص بالكمال وله الحمد في كل وقت وعلى كل حال.

مدريد في : نوفمبر ٢٠٠٩

دكتور

منير محمود المسيري